علي بدرخان الكردي الذي غيّر وجه السينما المصرية

«الثائر».. كتاب يحتفي بمسيرة مخرج قليل الإنتاج وعميق الأثر

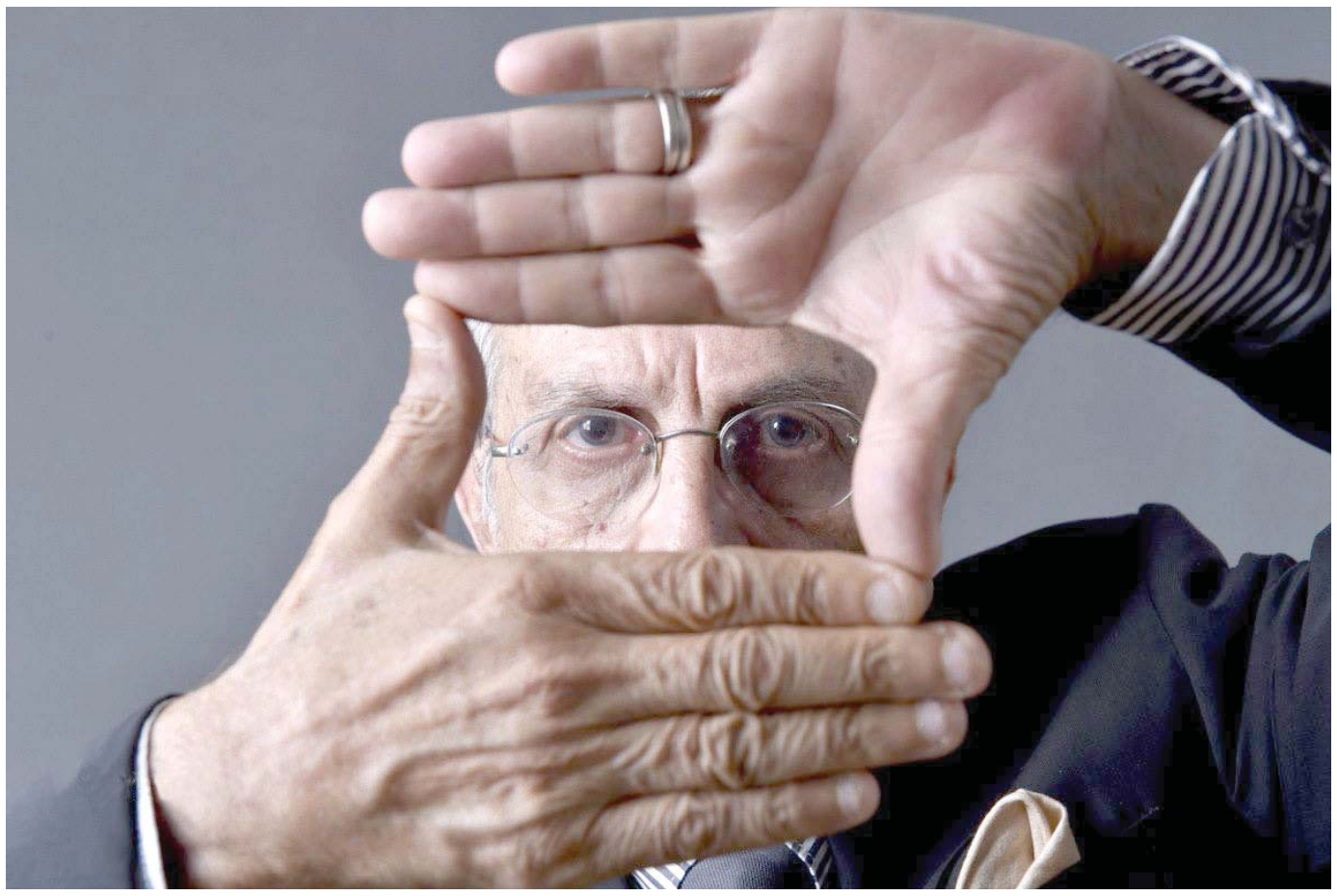

السينما.. نظرة للحياة من زاوية خاصة

في السينما مبدعون يكرّسون حياتهم في سبيل تقديم فن راق تتناوله الأجيال باهتمام وتمحيص، والمخرج المصري علي بدرخان واحد من هؤلاء المبدعين الذي يقدّمون أفكارا وأفلاما تجعل من حيواتهم ذاتها مادة غنية يمكن توثيقها في كتب أو أفلام أو أبحاث. وهو ما كان مع كتاب "الثائر" للناقدة السينمائية ميرفت عمر التي قدّمت فيه أطيافا من سيرة ومسيرة فنان قليل الإنتاج، لكنه عميق الأثر.

نضال قوشحة
كاتب سوري

تمثّل مسيرة المخرج السينمائي المصري ذي الأصول الكردية علي بدرخان (من مواليد العام 1946) حالة متفرّدة في تاريخ السينما المصرية بما تحمله من خصوصية، فهو الشريك الفني الأهم لنجمة السينما المصرية والعربية الفنانة الراحلة سعاد حسني، حيث قدّم معها أفضل أفلامهما التي كانت علامات فارقة في تاريخ السينما المصرية عموما.

مشوار الطفولة والأحلام

يتشكّل لدى المخرج بدرخان ملمح خاص من خلال رصيده الفني الذي لم يتجاوز العشرة أفلام، لكن ذلك الرصيد القليل نسبيا وضعه بقوة في قائمة أفضل المخرجين في السينما العربية، حيث وجدت خمسة من أفلامه العشرة في قائمة أفضل مئة فيلم في تاريخ السينما المصرية.

وأفلامه العشرة هي: "الرغبة" (2002)، "نزوة" (1996)، "الرجل الثالث" (1995)، "الراعي والنساء" (1991)، "الجوع" (1986)، "أهل القمة" (1981)، "شفيقة ومتولي" (1978)، "شيّلني وأشيّلك" (1977)، "الكرنك" (1975) و"الحب الذي كان" (1973).

وبدرخان الذي عاش حياة سينمائية شديدة الثراء، تقلب في العديد من مفاصلها وعمل في العديد من مهنها، حملت الدورة الأحدث لمهرجان الإسكندرية السينمائي لدول البحر المتوسط (الدورة السابعة والثلاثين) اسمه تكريما لمسيرته الفنية الطويلة. وبالمناسبة صدر عن المهرجان وباسم الجمعية المصرية لكتاب ونقاد السينما كتاب حمل عنوان "الثائر" من تأليف الناقدة السينمائية ميرفت عمر قدّمت فيه أطيافا من حياة بدرخان الشخصية والمهنية مستعرضة جوانب عديدة من حياته. وكان الكتاب ضمن مجموعة من الكتب التي صدرت عن المهرجان وعددها ستة عشرة.

وجاء في كتاب "الثائر" أنه كان بالقرب من معهد السينما في القاهرة منزل لمخرج سينمائي شهير هو أحمد بدرخان، والد علي، وهو الأمر الذي وفّر للطفل علي وعيا خاصا بالسينما، فكان يعيش عوالمها في بيته وهو يشاهد أقطاب الحياة السينمائية يتقاطرون إلى البيت الذي يعيش فيه لكي يتموا مع والده المخرج تفاصيل أعمالهم السينمائية القادمة. كما أن قرب بيته من المعهد جعله في تواصل دائم مع طلبة المعهد وأجوائه، الأمر الذي متّن علاقته بهذا الفن الذي شغف به وهو يافع.

واستعرضت ميرفت عمر في كتابها مفاصل من حياة بدرخان الابن وقدّمت على لسانه بعضا من الأحداث التي رافقت أو تلت تحقيق أفلام أو أحداث محدّدة، والتي جرت بينه وبين قامات فنية كبيرة، مثل تلك التي جمعته بنجيب محفوظ وصلاح جاهين وسعدالدين وهبة ويوسف شاهين وممدوح الليثي ورفيق الصبان وعاطف سالم وخيري بشارة ومحمد فاضل وأحمد زكي ونور الشريف وآخرين، وهو جانب وفّر للكتاب جانبا مشوّقا يرغبه القارئ عادة لمعرفة بعض تفاصيل حياة مشاهير الفن والأدب متتبّعا سيرة ومسيرة قامات فنية شكّلت عبر سنوات وعيه وفكره.

ولم تقف عمر في كتابها عند حدود المهني السينمائي، بل كتبت عن الصفة الثورية التي كان عليها علي بدرخان سواء تعلق الأمر بمفاهيمه الحياتية العادية أو المفاهيم الوطنية الكبرى التي تخصّ أحلامه وتطلعاته القومية كقضية التحرّر الوطني العالمي وفلسطين وغيرها.

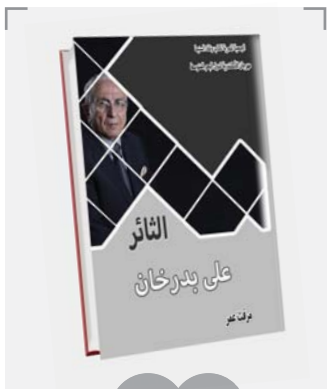

بدرخان ورغم رصيده القليل نسبيا، ضمت قائمة أفضل مئة فيلم في تاريخ السينما المصرية خمسة أفلام من إخراجه

فبدرخان كما تبيّن عمر في كتابها "إنسان ثائر بطبعه، يهتمّ بالتغيير وتحسين ظروف حياة الناس البسطاء خاصة المرأة، وهو كذلك ثائر بالمعنى العام للكلمة. وقد ترجم ذلك عندما ذهب ليتطوّع في أعمال عسكرية أثناء حرب أكتوبر رغم كونه غير مكلّف بخدمة العلم. وكذلك حين أقدم على تنفيذ فيلم عن القضية الكردية والقيادي فيها مصطفى البارزاني، وهو المشروع الذي لم يكتب له الخروج إلى النور رغم الجهود التي بذلت بشأنه عبر سنوات طوال".

وحياة بدرخان الابن طويلة ومليئة بالأحداث التي تشكّل مادة يمكن من خلالها تأليف العديد من الكتب، وبسبب تنقله بالعمل بين مهن السينما إخراجا وتدريسا وإدارة نقابية وما واجهه في كل ذلك من حروب وتحالفات فنية مختلفة، وبالتالي أحداثا يومية كثيرة، أوجد مشكلة كبرى في تناول الأهم الذي يجب أن يكتب عنه.

وتقول عمر في ذلك "حاولت في كتابي توثيق كل ما يتعلق بمسيرة حياة علي بدرخان، كانت هناك ضرورة لإلقاء الضوء على المحطات الهامة والأكثر حساسية في حياته. فمسيرته مليئة بالأحداث التي تملأ كتبا كثيرة، فكل محطة من حياته تصنع كتابا وكان صعبا أن يضمها كتاب مخصّص لتكريم فنان في مهرجان، لذلك لجأت إلى الاجتزاء منها".

وتضيف "مسيرة بدرخان تحتمل أن تكون فيلما سينمائيا، لأن فيها تشويقا وإثارة وتنقلات ومحطات بارزة.. وعندما أعددت الكتاب لاحظت أن له دورا مؤثرا في حياة طلابه المهنية، فلا تنتهي علاقته بطلابه بعد التخرّج، حيث يزوره طلابه بشكل دائم ويتواصل معهم شخصيا ومهنيا لأوقات طويلة، ويقدّم لهم العون في مشاريعهم السينمائية المختلفة".

كذلك ذهبت مؤلفة الكتاب في تفصيل نادرا ما يظهر في كتب تراجم الأشخاص، وخصّصت له مساحة في الكتاب، فقدّمت فيه فصلا عن أصوله الكردية وكيف جاء جدّه وأسّس قبل ما يقارب المئة عام أول صحيفة كردية في القاهرة، مستعرضا الكتاب في هذا الجانب معلومات عن تلك الجذور التي يعتزّ بها علي بدرخان، وتحدّثت الكاتبة عن حلمه الفني بأن يصنع فيلما عن الملا مصطفى البارزاني، مبيّنة كفاحه الشاق لتحقيق هذا الفيلم الذي قابل لأجله مسؤولين في العراق، لكنه في النهاية لم ينفّذ.

وتضيف عمر "كان بدرخان مناضلا تجاه الإنسانية فهو مع أي شعب تحت الاحتلال أو مضطهد، وله صولات وجولات في دعم كل حركات التحرّر الوطني والشعبي في العالم وعمل الكثير عند اجتياح لبنان، وكان مهتما بشأن العديد من بلدان عالمنا العربي، ويتفاعل مع أحداث العراق وسوريا وفلسطين ولبنان وليبيا، وبالطبع الأحداث الأشدّ قربا في مصر".

مكتشف النجوم

في كتابها "الثائر" تناولت الكاتبة ميرفت عمر سيرة حياة بدرخان الإبداعية بشكل أوجدت فيه مستويين في اللغة. فظهرت اللغة الأدبية البسيطة حينا إلى جانب العامية المصرية حينا آخر. وهذا ما أوجد في الكتاب أسلوبا سهلا يمكن فهمه من جميع الشرائح.

ميرفت عمر

علي بدرخان قامة غنية يمكن الحديث عنها في أكثر من كتاب وفيلم

وتقول الكاتبة عن ذلك "اللغة تحمل روح الفنان أو الشخص، وعمدت مع علي بدرخان أن أعطيه الكلام على حريته حيث يظهر كما يريد، فظهرت اللغة البسيطة وأحيانا العامية. وهي لغة بعيدة عن الشكل الجاف، حيث يمكن فهمها دون أن نحتاج إلى قواميس. وكان هذا هدفا واضحا لي، لأن الكتاب موّجه للجميع.. لغتي كانت أدبية وهي الأقرب لي عندما أتحدّث أنا، لكن عندما يتحدّث هو فإن اللغة تذهب إلى البساطة والعامية".

وتبرز أهمية تناول حياة مخرج سينمائي في قيمة علي بدرخان في كتاب من خلال ما يقدّمه للقارئ من معلومات تمكّنه من التعرّف على مكانته في حركة السينما المصرية، وكذلك الوجوه الفنية التي عمل معها أو قدّمها للوسط الفني كالفنان الراحل أحمد زكي، وكذلك شريكته في الفن والحياة سعاد حسني والتي ظهرت معه بشكل مختلف عن الآخرين.

وفي ذلك تقول ميرفت عمر لـ"العرب" إن "علاقته مع العديد من الشخصيات الفنية متفرّدة وهامة، منها علاقته بسعاد حسني الممثلة التي كان يقول عنها إنها ممثلة متميزة سهلة التشكيل ويمكن أن تقدّم الكثير من الأدوار، وهي فنانة تعيش شخصيتها بموضوعية وعمق".

وسعاد حسني بالنسبة إليه هي الخيار الأول في أي عمل يقوم به، وهي كنجمة سينمائية عملت مع الكثير من المخرجين الآخرين، لكنها كانت في أعماله متميزة عن الأفلام التي عملتها مع غيره. كذلك كان لبدرخان دور وعلاقة خاصة في ارتباطه بالفنان أحمد زكي الذي راهن عليه بقوة في فيلم "الكرنك" الذي لم يعمل به لظرف إنتاجي، ولكنه قدّمه لاحقا في فيلم "شفيقة ومتولي" الذي جمع زكي بسعاد حسني، وحقّق نجاحا هائلا.

«قافلة بين سينمائيات» تجوب العالم افتراضيا محتفية بأفلام المخرجات

بيروت - كشفت "قافلة بين سينمائيات" عن برنامج دورتها الرابعة عشرة والتي تجري على الإنترنت في الفترة الممتدة بين الرابع والثالث عشر من نوفمبر القادم.

ويضمّ برنامج عروض الدورة الجديدة خمسة عشر فيلما ما بين تسجيلي وروائي، من بينها سبعة أفلام تعرض في العالم العربي للمرة الأولى. وتضم القائمة أفلاما لمخرجات من إحدى عشرة دولة هي مصر، لبنان، الأردن، الجزائر، فرنسا، إسبانيا، سويسرا، ألمانيا، هولندا، كوبا، البرازيل وإيران.

وجميع أفلام الدورة سبق لها أن حصدت العديد من الجوائز في مهرجانات سينمائية دولية وعربية بارزة من بينها مهرجان برلين وفينيسيا ولايبزيغ ومونبيلييه وإيدفا وبوينس آيرس بالإضافة إلى مهرجان الجونة السينمائي ومهرجان القاهرة السينمائي الدولي.

ومن أبرز الأفلام العربية في برنامج هذا العام فيلم "كما في السماء كذلك على الأرض" للمخرجة اللبنانية سارة فرنسيس الذي شهد عرضه العالمي الأول بمهرجان برلين الدولي، وفيلم "جزائرهم" للمخرجة لينا سويلم الذي عرض في الكثير من المهرجانات الدولية وحاز على العديد من الجوائز.

كما يحتفي المهرجان هذا العام بالفيلم اللبناني "بيت، اتنين، تلاتة" للمخرجة رُبى عطية، وفيه اختارت المخرجة اللبنانية الغوص في الماضي برحلة استغرقت تسعا وسبعين دقيقة لتستحضر من ذاكرة والدتها شتات ذكريات طفولتها البعيدة والتي تمزّقت فيها بين ثلاثة بيوت بسبب الحرب والفراق والموت.

ويضم البرنامج أيضا مجموعة من الأفلام القصيرة تجمعها ثيمة بعنوان "أمهات عن قرب" لخمس مخرجات مصريات، وهي "مصرية" للمخرجة أسماء جمال، "ماما باقولك إيه" للمخرجة إيمان مجدي، "رفقاء سكن" للمخرجة رانيا زهرة، "كف مريم" للمخرجة هديل عادل و"تطلع البنت لأمها" للمخرجة ندى حجازي. وهذه الأفلام القصيرة هي نتاج الدورة الأولى لورشة الفيلم التسجيلي الإبداعي التي تنظمها "قافلة بين سينمائيات" سنويا.

ومن الأفلام العالمية البارزة في برنامج القافلة هذا العام الفيلم الكوبي "في همسة" والذي حاز على جائزة أفضل فيلم في مهرجان إيدفا الدولي للمخرجتين هايدي حسن وباتريثيا بيريث. والفيلم البرازيلي "بابينكو، أخبرني عندما أموت" للمخرجة باربرا باث والحاصل على جائزة أفضل فيلم تسجيلي في مهرجان فينيسيا، والفيلم الهولندي "المراقب" للمخرجة تريز آنا.

وتشهد الدورة الرابعة عشرة لـ"قافلة بين سينمائيات" لقاءات يومية مع مخرجات الأفلام عن بعد، ومن بين المخرجات المشاركات في اللقاءات المخرجة والممثلة باربارا باث والمخرجات لينا سويلم وسارة فرنسيس ورُبى عطية وباتريثيا بيريث.

ويضم برنامج القافلة أيضا جلسة حوارية عن التعليم البديل للسينما في مصر وتونس والجزائر تجري في العاشر من نوفمبر، وتشارك فيها المونتيرة والأكاديمية التونسية عزة شعبوني والمخرجة والكاتبة الجزائرية حبيبة دجانين والمخرجة المصرية أمل رمسيس.

كما تشهد الدورة الجديدة ورشة المونتاج الأوّلي التي تديرها "قافلة بين سينمائيات" على الإنترنت على هامش العروض يومي الثاني عشر والثالث عشر من نوفمبر، وتستهدف مخرجات الأفلام العربيات اللاتي قطعن شوطا في إنتاجهن وصولا إلى مرحلة مبدئية في المونتاج. وتتكوّن لجنة تحكيم الورشة من المخرجة عرب لطفي وميس دروزة والناقدة هدى إبراهيم.

وقالت المخرجة المصرية أمل رمسيس مؤسسة ومديرة "قافلة بين سينمائيات" إن دورة هذا العام تتمّ من خلال الإنترنت نتيجة خيار واع وليس بسبب ضغوط جائحة كورونا، مشيرة إلى أنه في بلادنا العربية هناك الكثير من الضغوط البيروقراطية والرقابية التي تعيق حرية تنظيم عروض الأفلام، وهو ما يجعل الفضاء الإلكتروني مساحة أوسع للتواصل مع الجمهور دون قيود.

وتقول "هدفنا التواصل مع جمهور عربي لا تتاح له فرصة حضور المهرجانات أو ارتياد قاعات السينما التي صار الوصول إليها مقتصرا على نخبة من المهتمين والقادرين على دفع ثمن التذكرة، فضلا عن أن معظم هذه الأفلام لا يجد طريقه لصالات العرض. لا شيء يضاهي شاشة السينما، لكن العودة إليها تظل حلما مرتبطا بتحريرها من الحصار الذي يحرم الجمهور العربي من الاستمتاع بسحر السينما".

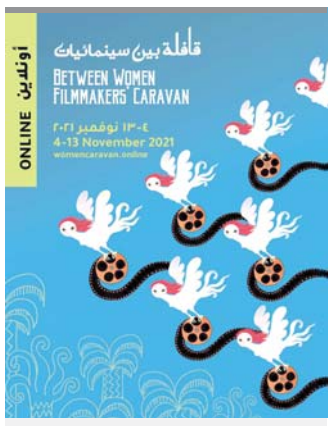

الدورة تضم خمسة عشر فيلما ما بين تسجيلي وروائي، من بينها سبعة أفلام تعرض في العالم العربي للمرة الأولى

و"قافلة بين سينمائيات" هي مبادرة بدأت في العام 2008 بحلم محاولة خلق علاقة بين عوالم تجمعها الثقافة والواقع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي وتفصلها اللغة من خلال عروض أفلام متنقلة لمخرجات من العالم العربي وأميركا اللاتينية تبرز واقع المجتمعات في هذه المنطقة من وجهة نظر المخرجات.

وعلى مدى أربعة عشر عاما كبر الحلم وتطوّرت التجربة لتشمل عروض أفلام لمخرجات من جميع أنحاء العالم وليس فقط من العالمين العربي واللاتيني، كما تضاعف عدد الأفلام وتنقّلت العروض بين العديد من العواصم العالمية على مدار السنوات الماضية، بما في ذلك العرض الثابت الذي نظم في مصر للعديد من السنوات باسم "مهرجان القاهرة الدولي لسينما المرأة" وصولا إلى الدورة الحالية من القافلة.

وتقول رمسيس "العروض الافتراضية لـ'قافلة بين سينمائيات' مرحلة مهمة ومتوافقة مع هدفنا في التواصل مع الجمهور الواسع في جميع أنحاء العالم العربي والعالم من خلال لغة السينما التي تتجاوز الحدود وتقرّب بين البشر، وتؤكّد المشترك بينهم من خلال وجهة نظر مخرجات من كل أنحاء العالم".

«بيت، اتنين، تلاتة».. ذاكرة مشتتة بين ثلاثة بيوت لبنانية